

رؤية حسن حنفي للهوية في ظل الاغتراب

The vision of Hassan Hanafi on identity in the context of alienation

م. م . بتول سعدون كاظم عزيز البديري

B ATOOL SAADOON KADHIM

الجامعة المستنصرية / كلية الآداب

Batool_albadr @uomustansiryah .edu.iq

الملخص

تمثل هذه الدراسة محاولة لفهم الواقع العربي والتصدي للتحديات التي تواجه المجتمعات العربية من خلال الارتقاء بالعلم والمعرفة، والنهوض بالواقع العربي الإسلامي وتخليصه من حالات الضعف والتراجع التي يشهدها اليوم، حيث تركز هذه الدراسة على رؤية حسن حنفي لمفهوم الهوية في ظل الاغتراب، إذ يُعد حنفي من أبرز المفكرين الذين تناولوا مفهوم الهوية بشكل معمق، مشيراً إلى أنها تمثل " الوعي الذاتي للفرد أو الجماعة بخصائصه الذاتية المميزة التي تميزه عن الآخرين"، ويتشكل هذا الوعي من خلال تفاعل الفرد مع العوامل الثقافية، الاجتماعية، والتاريخية التي تحيط به. ويرى ان الهوية ليست معطى ثابت بل مشروعاً مفتوحاً يتشكل عبر الصراع مع قوى الاغتراب، التي تمثل في التبعية الثقافية والاستلاب الحضاري . وي طرح حنفي مفهوم " التجديد والتراث " كألية لاستعادة الذات الحضارية ، مؤكدا ان تجاوز الاغتراب لا يتم الا بإعادة قراءة التراث برؤية معاصرة تربط بين الانا و الواقع ، فالهوية عنده ليست تكرارا للماضي ،بل اعادة تأسيس الذات في ضوء الحاضر .

الكلمات المفتاحية : الهوية ، الاغتراب ، حسن حنفي ،التحديات المعاصرة ، الانتماء

Abstract

This study represents an attempt to understand the Arab reality and confront the challenges facing Arab societies by elevating science and knowledge, and advancing the Arab Islamic reality to free it from the weaknesses and setbacks it is currently experiencing. This study focuses on Hassan Hanafi's vision of the concept of identity in the context of alienation, as Hanafi is considered one of the prominent thinkers who have addressed the concept of identity in depth, indicating that it represents "the self-awareness of the individual or group of its distinctive characteristics that differentiate it from others." This awareness is shaped through the individual's interaction with the cultural, social, and historical factors surrounding them. He sees identity not as a fixed given but as an open project formed through the struggle against forces of alienation, which manifest in cultural dependency and civilizational alienation. Hanafi presents the concept of "heritage and renewal" as a mechanism for restoring civilizational selfhood, emphasizing that overcoming alienation can only be achieved by re-reading heritage with a contemporary vision that connects the self with reality. For him, identity is not a repetition of the past, but a re-establishment of the self in light of the present.

المقدمة

تشكل أزمة الهوية واحدة من أبرز التحديات التي تواجه المجتمعات العربية اليوم، في ظلّ حالة الاغتراب المركّب التي تعيشها، والمتمثلة في التبعية الثقافية، والتشتت المعرفي، والانقطاع عن الجذور الحضارية. وقد نشأ هذا الاغتراب كنتيجة تراكمية للاستعمار وللاكتفاء المستمر على النموذج الغربي، مما أدى إلى شرخ في الوعي العربي

بين ماضي يُستحضر بشكل غير نقدي وحاضر يُعاش بلا هوية راسخة. وفي هذا الإطار، يبرز مشروع حسن حنفي الفكري كمحاولة جذرية لإعادة بناء الهوية العربية الإسلامية، عبر تحرير الذات من الاستلاب وإعادة تعريف العلاقة مع التراث والواقع المعاصر.

تتمحور إشكالية البحث حول السؤال الجوهرية: كيف صاغ حسن حنفي رؤيته الفلسفية للهوية في سياق الاغتراب الحضاري، وما هي الآليات التي اقترحها لتجاوز هذا الاغتراب ضمن مشروعه "التراث والتجديد"؟ ويهدف الدراسة إلى تحليل تصور حنفي للهوية بوصفها عملية تاريخية ديناميكية تتشكل عبر المواجهة الفكرية والثقافية مع قوى التغريب، مع الكشف عن الدور الذي تلعبه القراءة المعاصرة للتراث في بناء هوية فاعلة ومستقلة.

يعتمد البحث منهجاً تحليلياً نقدياً يقوم على دراسة النصوص الأساسية لمشروع حنفي، وتحديدًا ضمن سياقها الحضاري والفلسفي، بهدف استخلاص أسسه المنهجية وأبعاده الفكرية. ومن خلال ذلك، يفترض البحث أن حنفي لا يتعامل مع الهوية ككيان ثابت، بل كفعل حضاري متجدد يعيد تشكيل الذات عبر التفاعل الواعي مع التاريخ، وتخطي الاغتراب بمضامينه الوجودية والثقافية.

يشهد العالم المعاصر تحولات هائلة على كافة الاصعدة، وتطرح الهوية كمفهوم محوري في النقاشات الفلسفية والسياسية والثقافية.

المبحث الاول : التعريف اللغوي والاصطلاحي لمفهوم الهوية

تمثل عملية تشكل الهوية مكونا اساسيا في حياة الامم والشعوب ,حيث تؤثر التغيرات السريعة والمتلاحقة في مختلف مجالات الحياة على وعي الافراد بذاتهم وتفكيرهم ,مما ينجم عنه اثار نفسية واجتماعية عميقة ومتراصة , وتشكل هذه العملية تحديا كبيرا في ظل التغيرات المتسارعة التي تشهدها المجتمعات الحديثة , (الجنابي، ٢٠٢٤، صفحة ٧٤٥).

اذ تعتبر الهوية مفهوما هاما يشغل حيز كبير في الفكر الانساني ولها ابعاد لغوية واجتماعية وثقافية ونفسية كما سيتضح في مجمل البحث .

التعريف اللغوي للهوية :

"لفظ الهوية مشتق من الهو كما تشتق الانسانية من الانسان ,وهوية الشيء هي عينيته وتشخصه وخصوصيته التي ندركها بالجواب عن السؤال ما هو ؟". (سعيد، ٢٠٠٤، صفحة ٤٩٤) , والهوية مصدر صناعي من كلمة هو , لدلالة على ان الشيء هو هو , وليس غيره, او بانه هو هو ثم يصدر شيئاً اخر , وهي الذات الثابتة من خلال تغير احوالها مثل : هوية الانا, (يعقوبي، ٢٠٠٨، صفحة ١٧٤) .

يتضح من ذلك ان بناء الهوية وتشكيلها هدفا اساسيا يسعى الفرد الى تحقيقه , ويشكل في الوقت نفسه تحديا رئيسيا ومشكلة مركزية في شخصيته , حيث يرتبط بتحديد الذات والبحث عن هوية مستقرة ومتماسكة من خلال مرحلة صراع داخلي ومع الاخرين , مما يتطلب من الفرد مواجهة تحديات نفسية واجتماعية متعددة , (امين، ٢٠١٧، صفحة ١٢٨).

التعريف الاصطلاحي للهوية:

تعريف الهوية غالبا كونها مفهوما ايدولوجيا متعدد الواجه ,حيث يمكن التعبير عنها او تجسيدها من خلال مكونات متعددة ومتنوعة, مثل الدين او اللغة او الانتماء الوطني او القومي, وتتمثل الهوية الاساسية لأي مجتمع في القدر الثابت والجوهري والمشارك من الصفات العامة التي تميز حضارته عن غيرها من الحضارات, وتشكل هذه السمات الجوهرية اساسا لتمييز شخصية المجتمع عن الشخصيات الاخرى , (مطلبك، ٢٠١٦، صفحة ٢٦٢).

"الهوية خاصة بالإنسان والمجتمع والفرد والجماعة وهي موضوع إنساني خالص، فالإنسان يرى حنفي ان

هو الذي ينقسم على نفسه، وهو الذي يشعر بالمفارقة أو التعالي أو القسمة بين ما هو كائن وما

. (حنفي، الهوية، ٢٠١٢، صفحة ١١)" ينبغي أن يكون

كما يعرفها أيضا "أنها ليست موضوعا أو حقيقة واقعة، بل هي إمكانية حركية تتفاعل مع

الحرية، فالهوية ليست شيئا يخلق", (حنفي، الهوية، ٢٠١٢، صفحة ١١).

يذهب عمارة (١٩٩٩: ٦) إلى أن الهوية تمثل الثوابت الجوهرية للشيء التي لا تتبدل ولا تتغير، وتظل قادرة على الإفصاح عن ذاتها دون أن تتنازل عن موقعها لصالح نقيضها، ما دامت الذات حية وفاعلة. فهي بالنسبة للإنسان كالبصمة التي تميّزه عن غيره، وتستعيد فاعليتها وتظهر معالمها كلما زالت عنها عوامل الطمس. كما تُعد الهوية بمثابة الشفرة التي يمكن للفرد من خلالها أن يتعرّف على نفسه في إطار علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، والتي من خلالها يتعرف عليه الآخرون كعضو ينتمي إلى تلك الجماعة، (عمارة، ١٩٩٩، صفحة ٦).

اما زكريا ابراهيم فيرى ان الهوية تشكل: "الاتجاهات والقيم السائدة في مجتمع معين، كما تعبر عنها الرموز اللغوية والاساطير والطقوس واساليب الحياة ومؤسسات المجتمع التعليمية والدينية والسياسية"،

(فؤاد، ٢٠١٠، صفحة ٧١)

اذا مفهوم الهوية هو مفهوم متعدد الواجهه، يصعب حصر تعريفه في قالب واحد، وذلك لتنوع وجهات النظر حوله وتباينها. من هذا المنطلق يمكن ان نقول ان الهوية تشكل مجموعة من السمات التي تميز الفرد او المجتمع عن غيره، وهي تشير الى الخواص المشتركة، التي تجتمع حولها مجموعة من البشر وتميزها عن مجموعة اخرى، وتضفي عليها صفاتها الجوهرية وسماتها المميزة وتشمل هذه الخصائص اللغة والاهداف المشتركة التاريخ والعادات والتقاليد والمصالح المشتركة. بالتالي خصائص الهوية تميز مجموعة عن اخرى والهوية ليست كيانا ثابتا بل تتطور وتتغير عبر الزمن حيث تولد الهوية وتنمو وتتشكل وتواجه الازمات كما ترتبط الهوية بالجماعة اكثر من الفرد لكنها تشكل جزءا من هوية الفرد .

بالتالي الهوية تقدم اطارا لفهم الذات والجماعة وتساهم في بناء الانتماء والتماسك الاجتماعي، (رضوان، ٢٠١٢، صفحة ٨٤).

وقد تعددت مفاهيم الهوية واختلفت من زمن لآخر ومن فيلسوف لآخر ولأمثلة في ذلك كثيرة منها تعريف الجرجاني للهوية حيث يرى انها تأتي بمعنى هو.. هو أي انها جوهر الشيء، وحقيقته، لذا نجد ان الجرجاني في كتابه التعريفات يعرف الهوية : "بانها حقيقة مطلقة تضم حقائق مشتملة عليها اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق"، (الشريف، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، صفحة ٣١٤).

اي ان الهوية تمثل الركيزة الاساس والاهم للإنسان وتميزه عن غيره اي انها ثابتة ولا تتغير ولا تسمح للهويات الاخرى ان تحل محلها .

Adonis was اما ادون ويس

"يؤكد ان الهوية ليست كياناً ثابتاً ومحددًا بشكل نهائي، بل هي عملية ديناميكية تتطلب إكمالاً مستمرًا وتتسم بالتغير والتفاعل المستمر مع الآخر، حيث تتشكل الهوية من خلال العلاقة بين الفرد والآخر وليس في الانعزال"، (شعبان، ٢٠١٧، صفحة ٢٠).

الاغتراب لغة:

قبل بيان التعريف اللغوي للاغتراب، لابد من توضيح ان التعريف اللغوي له يكاد ان يكون موحدًا بين اغلب المعاجم العربية القديمة، لذا اوجزنا في ذكر اهم المعاجم ومنها لسان العرب، اذ عرفه ابن منظور بقوله: "غرب: أي ذهب وتتحى من الناس، (التغرب) يعني البعد(والغربة والغرب)يعني النزوح عن الوطن، (والغريب) هو البعيد عن وطنه" (منظور، لسان العرب ، ١٩٦٨، صفحة ٣٢) . وفي معجم الوسيط (غربة في الارض اي سافر سفرا بعيدا واغترب فلانا اي نزع عن الوطن والغربة هي النوى والبعد). يركز هذا التعريف على المعنى الحرفي للاغتراب ، وهو الابتعاد عن المكان الاصلي أي الوطن او السفر بعيدا . (الزيات، ١٩٨٩، صفحة ٦٤٧).

اذا الاغتراب لغة يمكن ان يكون كما جاء في القاموس المحيط هو "النزوح عن الوطن كالغربة والاغتراب والتغرب ...هو الشعور بالغربة والانفصال عن الاخرين او عن الذات . ويركز القاموس المحيط على المعنى النفسي والاجتماعي للاغتراب وذلك لما يشكل من اهمية على المستوى النفسي والاجتماعي . (الفيروزابادي، بدون تاريخ ، صفحة ١٤٤)

يتضح من المعنى اللغوي للاغتراب انه يعبر عن الابتعاد والتتحي وترك مكان او هجرة الوطن .

الاغتراب اصطلاحا :

لا يوجد تعريف موحد لمفهوم الاغتراب، إذ يعد ظاهرة معقدة متعددة الأبعاد، تشمل جوانب نفسية واجتماعية وفلسفية، وتؤثر على العديد من الأفراد. ولكل تعريف سياق يختلف بحسب الإطار الذي يوضع فيه. ويعرف إجلال سري الاغتراب بأنه اضطراب نفسي يتمثل في ابتعاد الذات عن هويتها، وانفصالها عن الواقع والمجتمع، ما يؤدي إلى شعور بالغربة عن النفس، والغربة عن العالم، والغربة بين الناس. (سري، ٢٠٠٣، صفحة ١١٤).

يتضح من هذا التعريف أن الاغتراب يمثل حالة من الضعف والعجز والانهيار في الشخصية، تنشأ نتيجة شعور الفرد بالانفصال عن المجتمع والانفكاك عن الثقافة الاجتماعية السائدة. اذا الاغتراب هو حالة يتعرض فيها الانسان الى ضعف وعجز وانهيار في الشخصية نتيجة احساسه بالانفصال عن المجتمع والانسلاخ عن الثقافة الاجتماعية السائدة . وفي معجم المصطلحات الصوفية الاغتراب هو فقدان القيم والمثل الإنسانية والخضوع لواقع اجتماعي يتحكم فيه الانسان حينئذ يشعر بالانفصال والانعزال عن الاخرين وحتى عن ذاته . (رشيد، ٢٠١١، صفحة ٥٨).

أهمية دراسة مفهومي الهوية والاغتراب

مفهوم الهوية والاغتراب يشكلان ثنائية محورية في تحليل العلاقة بين الفرد وسياقه الاجتماعي والثقافي، حيث تبرز أهمية استيعاب الهوية في تحديد معالم الانتماء والقيم الجوهرية، في حين يجسد الاغتراب حالة الانفصال التي قد تتجم عن تأثيرات العولمة وما يصاحبها من تحديات في صون الخصوصية الثقافية.

و تكمن هذه الاهمية في تقديم فهم للواقع العربي المعاصر والتصدي للتحديات التي تواجه الامة العربية وبناء مستقبل افضل في ظل العولمة وما يرافقها من غزو ثقافي وفكري ويمكن ان نجملها بهذه النقاط التالية:

اولا: فهم الواقع العربي المعاصر

تساعدنا دراسة الهوية والاعتراب على فهم الواقع الذي يعيشه المجتمع العربي و التغيرات التي يعاني منها مثل:

فقدان الانتماء : حيث يعاني الكثير من الافراد من الشعور بالفقدان للانتماء لهويته العربية بسبب انتشار ثقافات غريبة .

الازمة الاخلاقية : ان ظاهرة التغريب وما يرافقها عوامل تؤدي الى تفكك المنظومة الاخلاقية للمجتمع العربي مما يؤدي الى انتشار السلوكيات غير المنضبطة . (كاطع، ٢٠٠٥، الصفحات ١-٢)

الغربة الثقافية : تتضح في المعاناة التي يعاني منها الكثير من العرب متمثلة بالشعور بالغربة عن ثقافتهم مما يؤدي إلى مشاكل نفسية عديدة منها الشعور بالتهميش والاضطراب النفسي .

الخوف على الهوية : وهو حالة قلق وشعور يرافق الكثير من العرب على مستقبل ثقافتهم وحضارتهم من الغزو الثقافي والتحديات المتعددة الأخرى .

ثانيا: التصدي للتحديات التي تواجه الامة العربية

مواجهة التحديات المتعددة التي تواجهها الامة العربية , حيث تعد مقارنة منهجية لتفكيك اشكاليات الواقع وبناء حلول استراتيجية مستدامة للتحديات المعاصرة. وتتبلور اهمية هذه الدراسة في قدرتها على تقديم اطار تحليلي يسهم في مواجهة الاختراقات الثقافية , عبر تفعيل اليات متعددة المستويات . من ابرز هذه الاليات : تعزيز المنظومة القيمية والاخلاقية كمدخل لترسيخ الانتماء الحضاري, ونشر الوعي بأهمية الموروث الثقافي العربي ودوره في التحصين الجمعي ضد ظاهرة الغزو الثقافي الخارجي ,وذلك عبر تبني سياسات ثقافية فاعلة تعيد انتاج الهوية في صيغ معاصرة تواكب التحولات العالمية دون التفريط في الخصوصية, (الحافظ، ٢٠٠٥، صفحة ٤٦).

ثالثا: بناء مستقبل أفضل للأمة العربية

يتمثل في النهوض بالأمة في تحقيق التطور الشامل في مختلف المجالات ، بما في ذلك الثقافة والسياسة والاقتصاد والتكنولوجيا ، من خلال محاربة التخلف والفساد وتقليص الفجوات بين الحكومات والشعوب . كذلك بالسعي لنشر ثقافة ايجابية وتحقيق التعاون والتنمية المستدامة ، (التميمي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، الصفحات ٣١٨، ٢٦٣).

بالتالي تمثل دراسة الهوية الاساس لبناء مستقبل افضل للامة العربية ،فهي تسهم في تعزيز الوحدة الوطنية وتحقيق التقدم والازدهار، وتعزيز مكانة الامة العربية على الصعيد العالمي فمن خلال دراسة الهوية، يمكن بناء جيل مثقف ومبدع قادر على مواجهة التحديات وتحقيق التقدم .

المبحث الثاني: مفهوم الهوية عند حسن حنفي

تعريف حسن حنفي للهوية :

تُعَدُّ الهوية مفهومًا فلسفيًا معقدًا يُميّز الفرد أو الشيء عن غيره، وقد كانت محل جدل فلسفي عميق بشأن طبيعتها وتشكلها؛ إذ ربطها المثاليون بالقوانين الميتافيزيقية واعتبروها جوهرًا ثابتًا للأشياء، في حين ركّز الوجوديون على بعدها النفسي، معتبرين إياها نتاجًا لتجربة الإنسان لذاته. أما فلاسفة آخرون، مثل فخته، فقد نظروا إلى الهوية باعتبارها القانون الأول للفكر والوجود. وعلى النقيض من ذلك، تعبر الغيرية عن نفي الهوية الفردية، حيث تُفهم الذات بوصفها تكوينًا من عناصر متضادة، (حنفي، فشته فيلسوف المقاومة ، ٢٠٠٣، صفحة ١٨١صفحة ١٩٢).

يشير حسن حنفي إلى أن الهوية، والماهية، والجوهر هي مفاهيم فلسفية مترابطة تنتمي إلى جذر معنوي مشترك يرتبط بالأصل أو الأساس الجوهرى للشيء. فالهوية تعني بقاء الشيء مطابقًا لذاته دون تغيير في ماهيته، مما يجعلها قائمة على مبدأ التطابق والاتساق، في حين تحيل الماهية إلى طبيعة الشيء وصفاته الجوهرية التي تميزه عن غيره. أما الجوهر، فيمثل الأساس الحقيقي العميق الذي يمنح الشيء وجوده المستقل. ومن ثم، فإن هذه المفاهيم الثلاثة تتكامل في تحديد طبيعة الشيء وأساسه، حيث تعكس الهوية ثباته في ماهيته، بينما تصف

الماهية خصائصه الجوهرية، ويشكّل الجوهر البنية التي يقوم عليها هذا الكيان، (حنفي، الهوية، ٢٠١٢، صفحة ١٠١صفحة ١١).

حيث لا تقتصر الهوية لديه على الفرد وحده، بل تشمل الجماعة والمجتمع ككل. كما يؤكد حنفي أن الهوية تُشكّل من خلال التفاعل مع الحاضر، مما يجعلها إمكانية حركية وليست حقيقة ثابتة. ومن هذا المنطلق، يرفض حنفي فكرة الهوية ككيان ثابت غير قابل للتغير، ويرى أنها تتطور بمرور الزمن، مُرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالحرية، إذ إن الإنسان الحر هو من يمتلك القدرة على تشكيل هويته واستكشاف إمكانياته. وعليه، فإن الهوية ليست كياناً مغلقاً، بل هي عملية ديناميكية مفتوحة على التغير والتفاعل المستمر، (حنفي، الهوية، ٢٠١٢، صفحة ١١). وهذا ما نجده بقوله: "ان الهوية ليست موضوعاً ثابتاً او حقيقة واقعة بل هي امكانية حركية تتفاعل مع الحرية، فالهوية قائمة على الحرية لأنها احساس بالذات، والذات حرة. والحرية قائمة على الهوية لأنها تعبير عنها"، (حنفي، الهوية، ٢٠١٢، صفحة ٢٣).

بالتالي وفق رؤيه حنفي الهوية تعد مسؤولية تقع على عاتق الفرد والمجتمع فهي تتطلب جهداً مستمراً للحفاظ عليها وتطويرها فهي لا تفرض من الخارج بل هي نتائج تفاعل الانسان والمجتمع.

الهوية و الاغتراب عند حسن حنفي

يُقدّم حسن حنفي فهماً لمفهوم الهوية من خلال علاقتها الجدلية بمفهوم الاغتراب، حيث يؤكد على ارتباط الهوية العميق باللغة بوصفها تجلياً أساسياً للذات. ويرى أن الهوية قد تنحرف نحو الاغتراب عندما تنقسم الذات على نفسها، فتتحول من حالة الإمكان والمثال، أي ما ينبغي أن يكون، إلى حالة الواقع القائم، مما يؤدي إلى انتقالها من الحرية الداخلية إلى الخضوع للظروف الخارجية. ويحدث هذا التحول عندما يصاب الفرد بالإحباط، فيجد نفسه في حالة اغتراب، حيث يفقد قدرته على تشكيل هويته بحرية، ويصبح خاضعاً لما يفرضه الواقع عليه، (واخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي، ٢٠١٠، صفحة ١٥٩).

اما انعكاسات هذا الاغتراب كما يرى حنفي تتمثل في انه "قد يؤدي فقدان الهوية أي الاغتراب الى ردي فعل متضادين مثل العزلة والانطواء او الانتشار والعنف، ولما كانت الهوية اصلية في الوجود الانساني فإنها تتحقق في

اشكال عديدة منطوية أو منتشرة الى الداخل أو الخارج، كلاهما خارج الوجود الانساني لا فيه. كلاهما انحراف عنه لا تحقق له. فمن يفقد هويته يفقد قدرته على الحركة والنشاط", (حنفي، الهوية، ١٠١٢، صفحة ٢٥).

يمكن أن يكون الانطواء مدخلاً لسلوكيات هدامة، مثل تعاطي المخدرات، في محاولة للبحث عن هوية مفقودة، سواء كان ذلك تعبيراً عن الفقر أو الثراء. وفي السياقات الخارجية، قد تنحو الهوية الأصيلة نحو الانغلاق، كما يظهر في ظاهرة السلفية، مما يؤدي إلى صراع داخلي بين القيم التقليدية والمجتمع الجديد، مولداً شعوراً بالاغتراب فالحرية تمثل الشرط الأساسي لتكوين هوية مستقرة ومتماسكة، وفي غيابها تتعرض الذات للتجزؤ والتشوه، مما يفقدها وعيها بوجودها الأصيل، ويؤدي إلى وقوعها في حالة الاغتراب. ويرجع هذا إلى العلاقة الجوهرية التي تربط الهوية بالحرية، إذ إن الهوية لا يمكن تصورهما خارج فضاء الحرية. وبالتالي، فإن الاغتراب ينشأ عندما تُسلب الحرية، ويترسخ الاستبداد، مما يؤدي إلى فقدان الذات السيطرة على مصيرها وإرادتها، فتصبح خاضعة لقوى خارجية تفقدها القدرة على تحقيق ذاتها واسترجاع هويتها. ونتيجة لذلك، تعيش الذات حالة من الإحباط والقلق والشعور بالعجز، ويتفاقم لديها الإحساس باليأس والشقاء في ظل استحالة تغيير واقعها، (حنفي، الهوية، ٢٠١٢، صفحة ٢٣، صفحة ٢٤).

ويذهب حنفي الى ابعد من ذلك اذ يرى أن الهوية تتجذر في الأعماق النفسية للإنسان، متجاوزة الأبعاد المادية والبيولوجية، حيث لا تقتصر على كونها سمة ملازمة للجسد، بل هي حالة نفسية معقدة تتشكل من خلال التفاعل المستمر مع البيئة الثقافية والاجتماعية.

وهذا ما يشير اليه حنفي بقوله: بما أن الإنسان يعجز عن تحقيق بعض الصفات التي ينشدها، كالعلم المطلق أو القدرة الكاملة، فإنه لا يتخلى عن التوق إليها، بل يعمد إلى تعظيمها وتقديسها، فتصبح هذه الصفات في وعيه مرتبطة بالمقدس أو منسوبة إلى الإله. وهكذا تتحول الرغبات الإنسانية غير المحققة إلى صفات إلهية، تعبر عن أقصى ما يطمح إليه الإنسان في وجوده، لكنها تتجاوز قدرته على التحقق الفعلي، (واخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي، ٢٠١٠، صفحة ١٩٠).

كذلك يؤكد حنفي أن فقدان الهوية يؤدي إلى شعور عميق بالاغتراب، لا يقتصر فقط على المستوى السياسي والاجتماعي، بل يمتد ليصل إلى أعماق النفس البشرية، مما يخلق أنواعاً متعددة من الاغتراب ابرزها :

١- الاغتراب الديني ٢- الاغتراب السياسي ٣- الاغتراب التاريخي

٢- اولاً : الاغتراب الديني

يرى حنفي في إطار تحليله لإشكالية الاغتراب الديني، ان هذا المفهوم يتجلى في حقل علم العقائد والتصوف عبر آلية تحوّل السعي الإنساني نحو الكمال إلى انفصالٍ عن الذات. اذ يرى أن الاغتراب في السياق العقائدي ينشأ من تعدّد تحقيق الإنسان لصفاتٍ كـ "علم" و"القدرة"، رغم توقه الدائم إلى امتلاكها. فحين يعجز الفرد عن بلوغ هذه الكمالات الوجودية، يُخضعها لعملية تَمَثُّلٍ (Idealization)، فيُجردها من طابعها الإنساني المحدود وينقلها إلى حيز المُطلَق الإلهي. على سبيل المثال، يتحول "العلم" من سعيٍ بشريٍّ ديناميكيٍّ إلى مُثَلٍّ عليا جامدة، تُقدّس كصفةٍ إلهيةٍ خالصة، بل وتُختزل في التصور اللاهوتي كأحد أسماء الذات الإلهية. يَصِفُ حنفي هذه الآلية بقوله: "ولما كان صعب التحقق فانه يعظمه ويبجله ويقده فيتحوّل الى صفةٍ للإله او الى الاله. وكذلك يتم نفس الشيء للقدرة. يريد ان يكون قادرا ولكنه لا يستطيع. ولا يتخلى عن القدرة كمثل اعلى، فتتحوّل الى صفة الهية للإله"، (حنفي، الهوية، ٢٠١٢، صفحة ٤٢).

أن إدراك الإنسان لفنائه ومحدوديته في مواجهة أزلية الله وقدرته المطلقة يُؤدّد لديه حاجةً وجوديةً إلى البحث عن مصدرٍ للقوة والأمان عبر الارتباط بالخالق، وهو توجهٌ لا ينحصر في البعد العقلي أو المعرفي فحسب، بل يمتد ليشمل الممارسات السلوكية والأفعال اليومية، حيث يُحاول الفرد - كاستجابةٍ طبيعيةٍ لوعيه بضعفه الذاتي وهشاشته موقفه في الكون - تعزيز التقرب إلى الذات الإلهية عبر الالتزام بتعاليمها الدينية، مُحوِّلاً هذا الوعي بالثنائية الوجودية (بين المحدود والمطلق) إلى دافعٍ مركزيٍّ لإعادة تشكيل سلوكه ضمن إطارٍ ميتافيزيقيٍّ يُعيد توازنه الرمزي في مواجهة تعقيدات الوجود، (بعلبكي، اللغة والهوية في الوطن العربي، ٢٠١٠، صفحة ١٨٥).

وفي هذا المعنى يشير حنفي الى محاولة فيورباخ في القضاء على هذا الاغتراب "القضاء على هذا الاغتراب بتحويل الثيولوجيا الى انثروبولوجيا، والعودة بصفات الله الى الانسان . فيثق بنفسه ويسترد شجاعته، ويتخلى عن عجزه، ويحقق ما يحلم به، ويصبح ما ينبغي ان يكون لا ما هو كائن"، (حنفي، الهوية، ٢٠١٢، صفحة ٤٤). اذا تتضح رؤية حنفي للاغتراب الديني في علم العقائد انه اغتراب تصوري ذهني .

اما بالنسبة لتصوف ينظر حنفي لتصوف على أنه حالة اغتراب عاطفي ووجداني تدفع الإنسان إلى التخلي عن الصفات البشرية والتخلي بالكمالات الإلهية، باعتباره مساراً روحانياً يهدف إلى تجاوز القيود الدنيوية والارتقاء إلى مستوى الكمال الإلهي. ويرتكز التصوف على ثلاثة أركان أساسية: التخلي عن الصفات الإنسانية، والتخلي بالصفات الإلهية، والتجلي الإلهي، سعياً للوصول إلى حقيقة الوجود وتحقيق الكمال المطلق.

وفي هذا الصدد يقول حنفي : " يتخلى اولاً عن الصفات الانسانية ثم يتحلّى بالصفات الالهية, ثم يتجلى الله له .وهي هوية خارج العالم بعد ان يفرغ الصوفي من هويته ويتخلى عن عالمه .ويتجه الى اعلى .ويرقى في المقامات والاحوال حتى ينتقل من البقاء الى الفناء ", (حنفي، الهوية، ٢٠١٢، صفحة ٤٥) هذه الهوية مجرداء خاوية حيث يكون العقل غائبا فيضيع الانسان ويصبح تائها فاقدا لهويته ويصبح مغتربا .

وفي هذا الجانب يذهب حنفي الى أن التصوف يتبنى تصوراً لله باعتباره كمالاً مطلقاً متعالياً عن الطبيعة البشرية، مما يدفع الصوفي إلى التجرد من الصفات الإنسانية والتقرب من الصفات الإلهية. ويؤدي هذا التقرب، وفقاً لهذا المنظور، إلى اتحاد الصوفي بالله، حيث يتخلى عن هويته الأرضية ويرتقي إلى عالم الروحانية، متجاوزاً كل ما هو دنيوي. وبهذا، تسافر الذات البشرية إلى ما فوق الطبيعة، حيث تكتشف هويتها المغتربة وتتجاوز ذاتها المحدودة، لتصل في حالة الاتحاد مع الذات الإلهية إلى حالة من الارتقاء والتوحد الوجودي، محققة بذلك الكمال المفقود بوصفها ذاتاً إنسانية ذات بعد روحاني إلهي ، (بعلبكي، اللغة والهوية، ٢٠١٠، صفحة ١٤٥) .

في هذا المعنى يقول حنفي : " بعد ان يفرغ الصوفي من هويته ويتخلى عن عالمه .ويتجه الى اعلى .ويرتقي في المقامات والاحوال حتى ينتقل من البقاء الى الفناء .ويتحد بالله ابتداء من وحدة الذات الى وحدة الشهود ان لا يرى امامه الا الله ثم اخيرا وحدة الوجود ,ان يكون هو والعالم والله شيئاً واحدا", (حنفي، الهوية، ٢٠١٢، الصفحات ٤٥-٤٦).

كما نجد تحليل حنفي النقدي يُشير إلى أن أحد أبرز تجليات أزمة الاغتراب يتمثل في تحوّل النص الديني إلى سلطة هيمنة تُجمّد الهوية الثقافية وتُقيدها، حيث يُفضي هذا التحوّل - وفق رؤيته - إلى استبدال الطبيعة الديناميكية للهوية القادرة على التفاعل مع السياقات الاجتماعية والتاريخية بهويّة جامدة تُحدّدها نصوص مقدسة تُخنّز إلى مرجعيات ثابتة، مما يُولّد صراعات معرفية واجتماعية تتصاعد عبر تنافس التيارات الفكرية على

احتكار تفسير هذه النصوص وتوظيفها أداةً لتعزيز المشاريع الأيديولوجية والمصالح الجماعية، في إطار أزمة بنيوية تتعارض مع مبدأ المرونة الحضارية، (حنفي، الهوية، ٢٠١٢، صفحة ٤٦).

وفي هذا المعنى يؤكد حنفي أن الهوية قد تفقد مضمونها الحقيقي عندما يُقَدَّم الشكل على الجوهر، والظاهر على الحقيقة، مما قد يؤدي إلى ممارسات دينية تنطوي على النفاق. وينتقد التمسك بالرموز والمظاهر الشكلية، مثل النقاب واللبحية، بوصفها آليات لمقاومة التحديث، محدِّراً من تجسيد الوحي خارج سياق الزمان والمكان، إذ يعتبر ذلك اغتراباً للوحي وقمماً للهوية الإنسانية في تفاعلها مع الواقع. وهنا يطرح حنفي تساءل قائلاً: "ككيف يقلب الانسان جدل السؤال والجواب ويجعل الوحي مطلقاً بلا مكان؟ وإذا كان الحكم الشرعي يتغير بتغير الزمان كلما تغير الزمان تغير الحكم من الاخف الى الاثقل او من الاثقل الى الاخف، وهو النسخ، فكيف يقلب الانسان الوحي ويطلقه ويجعله خارج الزمان، ثابتاً لا يتغير...تقديس وتمجيد الوحي بإخراجه خارج الزمان والمكان هو اغتراب للوحي وقضاء على الهوية الانسانية المتفاعلة مع الوجود الانساني"، (حنفي، الهوية، ٢٠١٢، الصفحات ٤٧-٤٨).

ويرى أن الآيات الشرعية قد وُضعت وفق معايير واضحة وثابتة، ولا ينبغي المساس بجوهرها. إلا أن تعدد مناهج التأويل أدى إلى جعل بنية النص موضوعاً مفتوحاً أمام مختلف الفرق والتيارات، بحيث أصبح لكل منها الحق في انتقاء الأحكام الشرعية بما يتلاءم مع متغيرات الحياة وظروفها الاجتماعية، (حنفي، من العقيدة الى الثورة، ١٩٨٨، الصفحات ٥٠٤ - ٥٠٥).

إذا الاغتراب الديني ينشا عن فصل اساسي بين الواقع والمثال، بين الحقيقة والوهم. فالإنسان في محاولة منه للهروب من قيود الواقع، يخلق لنفسه عالماً مثالياً يرى فيه الها هو في الحقيقة انعكاس لرغباته وامالها. هذا الانفصال هو جوهر الاغتراب: "فالإنسان لا يسمي واقعه مثاله ولا يسمي حقيقته خياله فالاغتراب الديني يقوم اساساً على هذا الفصل بين الواقع والمثال بين الحقيقة والوهم"، (حنفي، من العقيدة الى الثورة، ١٩٨٨، الصفحات ٥٠٤ - ٥٠٥). وهنا يظهر التأثير الواضح لحنفي بمفكرين غربيين فيما يتعلق بمفهوم الهوية وبالأخص الاغتراب الديني ومن ابرزهم فيورباخ الذي يذهب الى القول: "ان الكشف عن الاغتراب الديني لا يتم الا من خلال فلسفة الدين، فالاغتراب اساساً هو الاغتراب الديني"، (حنفي، دراسات فلسفية، ١٩٧٨، صفحة ٢٣٧). يمكننا في ضوء

ذلك القول ان حسن حنفي سعى, من خلال تحليله للمسائل الدينية الى تحرير الانسان من حالة الاغتراب التي يعيشها . فقد اراد ان يستعيد الانسان صفاته الكاملة التي اسقطها على الله في حالة اغترابه ,وان يدرك ان هذه الصفات هي في الاصل جزء من كينونته الإنسانية. وبذلك, يسعى حنفي الى اعادة الانسان الى ذاته الحقيقية, (القريشي، ١٩٨٤، صفحة ٢٧٣).

نخلص من ذلك بتأكيد حنفي بان الاغتراب الديني قائم اساسا على الفصل بين عالم المثل والواقع او بين الطبيعة وما وراء الطبيعة.

ثانيا : الاغتراب السياسي

من خلال تناول مسألة الاغتراب السياسي في فكر حنفي , يتضح سعيه الى مقارنة هذا النوع من الاغتراب ليس فقط كحالة نظرية , بل كواقع فعلي يمارس ويعاد انتاجه عبر النخب السياسية بغض النظر عن المرجعية الايديولوجية التي تنتمي اليها .

يقول في هذا المعنى: "الاغتراب السياسي هو لجوء النخبة السياسية بصرف النظر عن نوعها ليبرالية كانت ام ماركسية ام اشتراكية ام قومية فالحقيقة ليست تحقق الهوية في العالم ابتداء من وحده الذات وانقسامها بل في مذهب سياسي", (واخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي، ٢٠١٠، صفحة ١٨٩).

يرى حسن حنفي أن الاغتراب السياسي يتجلى عندما يفقد الفرد هويته الذاتية، فيسعى لتعويض هذا الفقد بالانتماء تحت مظلة أيديولوجيات أو أحزاب سياسية تُوفر له بدائل رمزية عن الذات الغائبة. وفي هذا السياق، لا تتحقق الهوية - في نظره - من خلال وحدة الذات أو انقسامها فقط، بل من خلال انخراطها الواعي في مذهب سياسي تختاره، وتؤمن بمبادئه وقيمه التي تشكل مرتكزات وجودها. ورغم تعدد الاتجاهات الحزبية وتنوع الأيديولوجيات، فإن لكل حزب هوية جوهرية تميزه: فالهوية الاشتراكية، على سبيل المثال، تُبنى على قيم العدل، والمساواة، والروح الجماعية في العمل والإنتاج، في حين تقوم الهوية الرأسمالية على مبدأ الملكية الفردية وتكريس الاستقلال الذاتي للفرد. من هنا، يصبح الانتماء السياسي وسيلة للفرد لاستعادة ذاته ومعناها داخل الجماعة. ولهذا يؤكد حنفي أن الهوية ليست مسألة سطحية تُحدّد بالمواقف السياسية العارضة، بل هي بنية أعمق تتغلغل في نسيج الشخصية

الوطنية وتتشكل عبر الوعي التاريخي والالتزام الفعلي بقضايا الواقع." ولهذا يؤكد حنفي ان الهوية اعمق في الشخصية الوطنية من السياسات الطارئة عليها " (حنفي، حصار الزمن (اشكاليات الحاضر)، ٢٠٠٤، صفحة ٦٤٥).

في ضوء هذه الرؤية يؤكد حنفي : "ان الاغتراب السياسي هو ان تختار النخبة ايديولوجيات علمانية خالصة، مثل الليبرالية او الاشتراكية او القومية او الماركسية، و الجماهير مغروزة الى اعناقها في موروثها الديني، تكون لها اغلبيه الاصوات في حالة انتخابات حرة نزيهة"، (واخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي ، ٢٠١٠، صفحة ١٩٠).

تَوَطَّرُ الأيديولوجيات - وفق تحليل حنفي - إشكالية الحراك المجتمعي عبر ثنائية الدين والسياسة، حيث تُحاصرُ بين مطرقة هيمنة مصالح النخب الضيقة وسندان التناقض البنوي بين المشروعية الدينية والمرجعية السياسية، مما يُولد استقطاباً مجتمعياً يُعمق الهوة بين النخبة المتمسكة بأيديولوجياتها المُغلقة (دينية كانت أم علمانية) والجماهير العاجزة عن التفاعل معها، فبينما ينكفي الخطاب الديني على الموروث دون إنتاج آليات تجديدية، يعجز الخطاب العلماني - رغم ادعائه تمثيل مصالح الجماهير - عن تجاوز انحرافه نحو النماذج الغربية، لينتج عن هذه الثنائية "اغتراب مزدوج": اغتراب ديني شعبي ناتج عن انفصال المقدس عن الواقع المعاش، واغتراب سياسي نخبوي يعكس أزمة الشرعية في الفعل الحضاري، مع تفاعلٍ جدليٍّ بينهما يُعيد إنتاج الأزمة في حلقة مفرغة، (واخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي، ٢٠١٠، صفحة ١٩١).

نجد حنفي هنا يعقد مقارنة بين نمطي الاغتراب السياسي والديني، مُرَجِّحًا تفوق الاغتراب الديني في الحضور الجماهيري لاستناده إلى مرجعية توحيدية عقيدة، حيث يرى أن الإسلام يُجسّد بُعدًا علمانيًا جوهريًا لا يحتاج إلى استدعاء علمانية خارجية مُستمدّة من السياق الحضاري الغربي، بل يُعدُّ التخلّف التاريخي للمجتمعات الإسلامية العامل الرئيس في تحويل الدين إلى سلطة كهنوتية تسيطر عبر الممارسات الطقسية والشعائرية والعقوبات الحدية، مما أفرز ردّة فعل جماعية نحو تبني العلمانية الغربية بوصفها تعبيرًا عن العقلانية والتحررية، في حين تُعزى أزمة الهوية الإسلامية -من وجهة نظره- إلى الانحراف الحضاري الذي حوّل التركيز من تفعيل الإمكانيات الإبداعية الذاتية في التراث الإسلامي إلى التبعية الحضارية وتقليد النموذج الغربي. (الجابري، صفحة ٦٨).

و يرى حنفي انه: "لا يمكن ان يوجد عمل سياسي ابداعي دون اصالة و ضد التغريب ,ومازالت احزابنا السياسية حتى الان خاصة العلمانية منها تصوغ القضية السياسية على نحو مغترب , وتجد الحل عند الآخر وليس بتحليل الانا ", (حنفي، دراسات فلسفية، ١٩٧٨، صفحة ١٧٢).

من الملاحظ ان حنفي يُقدّم نقدًا جذريًا للعلمانية العربية، مُفسّرًا إياها كنتاجٍ لأزمة الاغتراب السياسي، التي تُعدُّ بدورها انعكاسًا لسيطرة الأبستمولوجيا الغربية على الفكر العربي. فمن وجهة نظره، لا تقتصر هذه الأزمة على تبني النخب الحزبية العربية لخطابٍ علمانيّ فحسب، بل تتجلى في تحوّل العلمانية ذاتها إلى إيديولوجيا استعمارية جديدة، تُعيد إنتاج التبعية للغرب عبر آليتين متلازمتين:

الاستلاب الأبستمولوجي: في تقليد النموذج الغربي، مع إضفاء قداسةٍ على مفاهيم مثل "الفصل بين الدين والسياسة"، دون نقدٍ جذريٍّ لانبثاقها من سياقٍ تاريخيٍّ مغايرٍ ثقافيًا واجتماعيًا . " تفكيك الذات الجمعية: عبر تعميق الانقسام بين

"الأنما العربية" و"الآخر الغربي"، حيث تُحوّل العلمانية "الآخر" إلى مصدرٍ وحييدٍ للشرعية السياسية، بينما تُختزل "الأنما" إلى كيانٍ هشٍّ يفتقر إلى الإرادة التأسيسية، فيتحوّل الانتماء إلى الأفكار العلمانية إلى ممارسة لطقوس تُكرّس التبعية بدلًا عن التحرر، (حنفي، دراسات فلسفية، ١٩٧٨، صفحة ١٧٢).

ومن الملاحظ من خلال مفهوم الاغتراب السياسي ان حسن حنفي متأثر بكارل ماركس ويستلهم منه ليكشف عن الية الاغتراب السياسي التي تسلب العامل هويته وتجعله اسيرا لسلطة صاحب العمل . وفي ذلك يقول : "فاذا كان هيجل قد اكتشف الاغتراب الميتافيزيقي، واكتشف فيورباخ جذوره في الاغتراب الديني فان ماركس قد كشف جذوره في الاغتراب السياسي. فالاغتراب في الوضع السياسي والاجتماعي يفقد العامل هويته لدى صاحب العمل الذي يملك عمله ومن ثم يمتلك حياته ووجوده"، (حنفي، الهوية، ٢٠١٢، صفحة ٥٣). وفي هذا الإطار، يوسع حسن حنفي مفهوم الاغتراب السياسي الذي طرحه كارل ماركس، مؤكداً أن الاغتراب لا يقتصر على المجال الاقتصادي فحسب، بل يمتد إلى الأبعاد الاجتماعية والسياسية وغيرها، الأمر الذي يسهم في تشويه الهوية الإنسانية وتقويض الشعور بالانتماء والفاعلية داخل المجتمع.

ثالثاً : الاغتراب التاريخي

يرى حسن حنفي أن إدراك الهوية الحقيقية يستوجب العودة إلى التراث، من خلال ربطه بالتجديد والتقدم والتفاعل مع الثقافة المعاصرة. مؤكداً على ضرورة إعادة قراءة التراث قراءة نقدية تهدف إلى استخلاص العناصر الحية والفاعلة فيه، وتوظيفها في بناء حاضر ومستقبل أكثر ازدهاراً. كما يشير إلى أن القطيعة مع التراث تعدّ أحد العوامل الأساسية المؤدية إلى الاغتراب التاريخي، حيث يؤدي الانفصال عنه إلى فقدان الهوية وإضعاف الوعي التاريخي للأمة.

حيث يشدد حنفي على أهمية الحاضر وضرورة تجاوز الاغتراب التاريخي، الذي يعدّ من أبرز التحديات التي تواجه المسلمين. ويتمثل هذا الاغتراب، وفقاً لحنفي، في حالة الحصار الزمني التي تجعل المسلمين عالقين بين ماضٍ لا يزال يشدهم إليه بقوة، ومستقبل غامض يفكرون إلى رؤية واضحة لمصيرهم فيه، وحاضر مضطرب لا يدركون موقعهم الحقيقي ضمن مسار التاريخ. ونتيجة لذلك، يتجمد الزمن لديهم، ويتحول وجودهم إلى حالة من الجمود تشبه المياه الراكدة التي تقتد الحيوية، مما يؤدي إلى الركود والانحلال التدريجي. ويرى حنفي أن الماضي، الذي كان نتاجاً لإبداعات الأقدمين، لم يعد قادراً على التعبير عن واقع المسلمين المعاصر، إذ يتم استتساخه دون مراعاة التحولات الزمنية والتغيرات الجوهرية في طبيعة القضايا والتحديات، حيث انتقلت الأمة من سياق الانتصار إلى حالة من الانكسار، مما يستدعي إعادة النظر في كيفية التعامل مع التراث وبناء المستقبل، (حنفي، حصار الزمن (الماضي والمستقبل)، ٢٠٠٦، صفحة ٤٧٦). يذهب حنفي إلى أن نزعة الحنين للماضي ليست ظاهرة حصرية على الفكر الإسلامي، بل تعد سمة مشتركة بين مختلف الأيديولوجيات والحركات السياسية. وفي هذا المعنى يقول: "الحنين إلى الماضي لا يتعلق فقط بالإسلام بل بكل الأيديولوجيات والحركات السياسية عندما يتأزم الحاضر، وينهار النموذج القديم، فالقومي يحن إلى العهد القومي الناصري في الخمسينات والستينات، والماركسي يحن إلى الثورة الاشتراكية الكبرى.... وكلما تأزم الحاضر اشتد الحنين إلى الماضي هروباً في الزمن إلى الوراء، وكلما صعب العقل تشخيص الحاضر وإيجاد الحلول للخروج من أزيمته نشط الخيال للعودة إلى الماضي، وعصر البراءة الأولى والصفاء الخالص"، (حنفي، حصار الزمن (الماضي والمستقبل)، ٢٠٠٦، صفحة ٤٧٣).

يتضح هنا اشار حنفي إلى الدور الحيوي الذي يلعبه التراث الشعبي والأمثال العامية في تشكيل الوعي الثقافي، مؤكداً أن تجاوز الماضي يعد أمراً مستحيلاً. وفي هذا السياق، يوضح أن الثقافة الشعبية تتغذى من الأمثال التي تعكس هذا الارتباط، مثل القول الشائع: "من فات قديمه تاه"، حيث يرى أن التواصل مع الماضي أسهل من التواصل مع الحاضر، وأن القطيعة مع الماضي أشد صعوبة من القطيعة مع الواقع الراهن. ويربط حنفي بين هذه الظاهرة وبين مفهوم الاغتراب التاريخي، مشيراً إلى أنه قد يكون دافعاً للتغيير الجذري، إذ يؤدي إلى نشوء حركات علمانية تسعى إلى تبني نموذج موحد للمجتمع، يرتكز على مفاهيم المجتمع المدني والديمقراطية والتعددية، دون مراعاة الخصوصيات الثقافية والاجتماعية لكل مجتمع، (واخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي، ٢٠١٠، صفحة ١٩٢).

ويذهب حنفي الى قضية التمايز الطبقي، معتبراً إياها ظاهرة طبيعية في جميع المجتمعات، سواء في العصور القديمة، بما في ذلك عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والتابعين، أو في المجتمعات المعاصرة، كما يؤكد أن العقلانية لا يمكن أن تزدهر في مجتمع تسوده الخرافة، إذ لا يمكن نقل منجزات العلم والتكنولوجيا إلى بيئة تحكمها المعتقدات السحرية وتنتظر المعجزات دون الأخذ بالأسباب أو إدراك العلاقة بين العلة والمعلولات، (حنفي، الدين والتحرر الثقافي، ١٩٨٠، الصفحات ٥٩ - ٦٠).

في مقابل ضياع الهوية في الاغتراب، يرى حنفي ان هناك ظاهرة مغايرة تتمثل في تأكيد الهوية الى درجة التطرف والانغلاق على الذات. يتجسد هذا التطرف في , الايديولوجيات الفاشية والنازية والصهيونية ,بحول الهوية من كونها مفتوحة على الاخر الى اداة للسيطرة والاستئثار , (واخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي، ٢٠١٠، صفحة ١٩٣). اذا رؤية حنفي للاغتراب تمثل حالة نفسية واجتماعية ناتجة عن انفصال الذات عن جذورها التاريخية والثقافية. وعندما تنتفض الشعوب ضد الاستعمار والاستبداد، فإنها تسعى الى استعادة جذورها، واعادة بناء هويتها على اسس جديدة. فالثورة هي لحظة فارقة في تاريخ الشعوب، حيث تتجاوز فيها الذات حالة الاغتراب، وتستعيد وعيها بذاتها وبمكانها في العالم. وعندما تستعيد الذات وعيها، فإنها تصبح قادرة على بناء مجتمع عادل ومتسامح، يقوم على اسس الحرية والمساواة. وفي هذا المعنى يقول حنفي: "عندما تبدأ الهويات الاخرى المعتدى عليها بحركات التحرر الوطني، وتتصير الحرية على الاستبداد كقانون تاريخي. تستطيع الذات ان تسترد هويتها.... وتستعيد وحدتها وتقضي على اغترابها عن طريق الثقة بالنفس، وعودة الوعي، وازاحة

الاحساس بالعجز....تستطيع ذلك عن طريق الصدق....اي التوحيد بين الهوية واللغة ,بين الوجود والكلمة .
ومن ثم ينتهي اعلام السلطة وفقه السلطان الذي يقوم على الازدواجية .فالاغتراب ازدواجية لا يمكن القضاء عليه
الا بازدواجية اخرى " , (واخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي، ٢٠١٠، الصفحات ١٩٣ - ١٩٤).

الخاتمة

في إطار هذه الدراسة التحليلية لرؤية حسن حنفي لمفهوم الهوية في سياق الاغتراب، خلص البحث الى مجموعة
من النتائج لعل اهمها :

- ١- أن مفهوم حنفي للهوية يتجاوز المقاربات الجوهرية الثابتة، ليرتكز على رؤية ديناميكية تاريخية تتفاعل مع
التحولات الحضارية في إطار صراع جدلي بين الذات والآخر.
- ٢- فالهوية تشكل مشروعًا متطورًا يتطلب إعادة قراءة نقدية للتراث، وانخراطًا فاعلاً في الواقع المعاصر، مع
الحفاظ على الوعي بالمرتكزات الحضارية الأصيلة.
- ٣- كما يرى حنفي أن ظاهرة الاغتراب بمستوياتها المتعددة - الثقافية والحضارية والسياسية - تمثل عائقًا بنيويًا
أمام تشكل الهوية وتماسكها، حيث تؤدي إلى انفصام الذات عن مرجعياتها التاريخية والاجتماعية.
- ٤- إلا أن حنفي لا يقدم الاغتراب كحتمية وجودية، بل كمرحلة قابلة للتجاوز من خلال آليته المعرفية المتمثلة في
"التراث والتجديد"، التي تقوم على تفكيك الموروث وإعادة بنائه وفق رؤية عقلانية نقدية، وربط الذات بالواقع
المعاصر في إطار عملية إبداعية تهدف إلى إعادة التأسيس لا إلى التكرار الآلي.
- ٥- الأهمية المعرفية للمشروع الفكري لحنفي كمحاولة جادة لإعادة بناء الذات الحضارية وتأسيس هوية دينامية
قائمة على الفاعلية التاريخية بدلاً من التبعية أو الانكفاء. وفي هذا السياق، يمكن التأكيد على أن الأطروحة
الحنفية - رغم قابليتها للنقد والتطوير - تمثل إسهامًا نظريًا بالغ الأهمية في إعادة تشكيل الوعي بالموقع
الحضاري، وفي تحديد شروط التحرر من أشكال الاغتراب المختلفة.

المصادر والمراجع

- ابراهيم مصطفى واحمد حسن الزياد. (١٩٨٩). المعجم الوسيط. اسطنبول: دار العودة.
- ابن منظور. (١٩٦٨). لسان العرب . بيروت : عويدات .
- اجلال محمد سري. (٢٠٠٣). الامراض النفسية الاجتماعية (المجلد ط١). القاهرة، مصر: عالم الكتب للنشر والتوزيع .
- اقبال نحمد رشيد. (٢٠١١). الاغتراب - التمرد خلق المستقبل (المجلد ط١). عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع ، الاردن .
- الجرجاني الشريف. (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م). التعريفات (المجلد ط١). بيروت: دار عالم الكتب.
- الفيروزابادي. (بدون تاريخ). القاموس المحيط . بيروت : دار الجيل والموسسة العربية للطباعة والنشر .
- القران الكريم. (الاية ٣٢). سورة الزخرف.
- ايات ماجد صادق عيسى الموسوي وندى صباح عباس الجنابي. (٢٠٢٤). انماط الهوية لدى طالبات قسم رياض الاطفال. كلية التربية الاساسية . بغداد: مجلة كلية التربية الاساسية مجلد ٣٠. عدد (١٢٦)، ٧٤٥-٧٦٨.
- جلال الدين سعيد. (٢٠٠٤). معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية (المجلد د. ط). تونس: دار الجنوب.
- حسن حنفي. (١٠١٢). الهوية (المجلد ط١). القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة.
- حسن حنفي. (١٩٧٨). دراسات فلسفية (المجلد ط١). القاهرة، مصر: مكتبة الانجلو المصرية.
- حسن حنفي. (١٩٨٠). الدين والتحرر الثقافي . الاسكندرية : منتدى ومكتبة الاسكندرية .
- حسن حنفي. (١٩٨٨). من العقيدة الى الثورة (المجلد ط١). بيروت، لبنان: دار التوير.
- حسن حنفي. (٢٠٠٣). فشته فيلسوف المقاومة . القاهرة : الجمعية الفلسفية المصرية .
- حسن حنفي. (٢٠٠٦). حصار الزمن (الماضي والمستقبل) (المجلد ط١). القاهرة، مصر: مركز الكتاب.

حسن حنفي ومحمد عابد الجابري. (بلا تاريخ). حوار المشرق والمغرب (المجلد ط١). عمان، الاردن : دار الفارس .

رمزي منير بعلبكي. (٢٠١٠). اللغة والهوية في الوطن العربي (المجلد ط١). بيروت، لبنان : المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات.

زكريا فؤاد. (٢٠١٠). خطاب الى العقل العربي. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: سلسلة الفكر، مكتبة الاسرة.

زينب عبد الرحمن محمد و رحيم عبد الله الزبيدي امين. (٢٠١٧). اساليب الهوية لدى طلبة الجامعة. الجامعة المستنصرية . بغداد: مجلة المستنصرية للعلوم والتربية , مجلد ١٨ عدد(٢), ١٢٧-١٦٠.

سناء كاظم كاطع. (٢٠٠٥). الفكر العربي الاسلامي المعاصر والعولمة (المجلد ط١). بيروت: دار الغدير.

عبد الحسين شعبان. (٢٠١٧). الهوية والمواطنة (المجلد ط١). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

عبد الرشيد عبد الحافظ. (٢٠٠٥). الاثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها . القاهرة : مكتبة مدبولي .

عبير بسيوني رضوان. (٢٠١٢). ازمة الهوية والثورة على الدولة في غياب المواطنة وبروز الطائفية (المجلد ط١). القاهرة: دار السلام.

فهد بن محمد القرشي. (١٩٨٤). منهجية حسن حنفي (المجلد ط١). الرياض: مكتبة مجلة البيان.

محمد الجرجاني. (بدون تاريخ). معجم التعريفات . القاهرة : دار الفضيلة .

محمد بن سعد التميمي. (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م). العولمة وقضية الهوية الثقافية العربية المعاصرة (المجلد ط١).

محمد عمارة. (١٩٩٩). مخاطر العولمة على الهوية الثقافية . القاهرة : دار نهضة مصر لطباعة والنشر والتوزيع .

محمد يعقوبي. (٢٠٠٨). معجم الفلسفة (المجلد ط١). القاهرة: دار الكتاب الحديث .

محمود سمير المنير. (١٤٢١هـ_٢٠٠٠م). *العولمة وعالم بلا هوية* (المجلد ط١). المنصورة، مصر: دار الكلمة
لنشر والتوزيع.

محمود يعقوب. (٢٠٠٨). *معجم الفلسفة* (المجلد ط١). القاهرة: دار الكتاب الحديث.

هدى كريم مطلق. (٢٠١٦). *العولمة والشباب -ازمة الهوية والانتماء*. الجامعة المستنصرية كلية الاداب ،
الانثربولوجيا التطبيقية . بغداد: مجلة الاداب العدد ٢٠١٦,٧٣.